

ومع الأخذ في الاعتبار أن جميع ميادين العمل التي تستقطب هولاء العمال الصغار غالباً ما تكون أعمالاً غير آمنة صحياً، ويصابون من خلال أعمالهم بإصابات بالغة، تؤدي إلى عاهات مستديمة وتؤثر على مسيرة حياتهم المستقبلية. والسبب الحقيقي وراء تلك الإصابات المؤثرة على صحة هؤلاء هو قيام تلك الفئة بأعمال تفوق قدراتهم العمرية من جهة ومن جهة أخرى فإن معظم الأماكن التي يعمل بها الأطفال تفتقد إلى أبسط وسائل السلامة.

ففي عام ١٩٩٣م أجريت دراسة في إحدى الدول العربية لبعض الفتيات الصغيرات اللاتي يعملن في صناعة السجاد وتبين أن ٣٦٪ منهن يعانين من مشاكل في البصر، وبعضهن يعانين من مشاكل في الصدر والتنفس وأن ٢٤٪ منهن يصبين بحوادث خطيرة بسبب الأدوات التي يستخدمنها في عملية النسيج وأغلب هؤلاء الفتيات تتراوح أعمارهن بين ٥ و ١٥ سنة يعانين من نقص في الوزن كما أن هناك فرقاً في الطول يبلغ ٢ إلى ٤ سم مقارنة بالفتيات غير العاملات.

كما أجريت دراسة أخرى في بعض الدول العربية تتعلق بمدى الآثار الصحية الناجمة عن ظاهرة عمل الأطفال فقد أشارت الدراسة إلى أن الأطفال العاملين في صناعة التبغ والجلود في مصر يعملون ساعات طويلة تتراوح ما بين ٧ و ٩ ساعات يومياً كما يعمل ثلث هؤلاء ساعات عمل إضافية بعد الساعة الثامنة مساءً كما يعمل أكثر من ٧٠٪ منهم أكثر من ٨ ساعات يومياً. وأوضحت تلك الدراسة أن الظروف المهنية المحيطة بهؤلاء الأطفال تكون محفوفة بالمخاطر العديدة فأغلب الأطفال العاملين يشتغلون في حمل الأشياء الثقيلة وأعمال البناء أو جمع القمامة ناهيك عن الإساءة الأدبية والبدنية من سطوة صاحب العمل مستغلاً صغر سنهم في ذلك. إن أصحاب العمل الذين يسمحون بعمل الأطفال لديهم يفتقدون أبسط مبادئ التربية السليمة، حيث يعامل أغلبهم بوحشية ودونية، غير مباليين بعواقب هذه المعاملة من جروح نازفة مخزونة في العقل الباطن

# التأثيرات الصحية والنفسية المصاحبة لعمل الأطفال

المحامية وفاء عبدالرحمن الخلو\*

الانعكاسات السلبية الناجمة عن عمل الأطفال والمؤثرة على النواحي الصحية والنفسية كبيرة جداً، فحينما يقتلع الطفل من أجوائه الطبيعية المليئة بالبراءة والطفولة واللعب وينغمس في الجري وراء العمل الذي يسلبه طفولته حتماً سيعرضه ذلك إلى متاعب صحية ونفسية سواء على المدى القريب أو البعيد.





فالطفل في الشارع طفل مغلوب على أمره، فبدلاً عن أن يعال فهو يعول، إن طفلاً في الشارع أكثر عرضة للانحراف والوقوع في الرذيلة لكنه ليس بالضرورة أن يخلق العمل من الطفل إنساناً حاقداً على نفسه وعلى من حوله فالكثير من البشر الذين تقلدوا المناصب العليا في المجتمع كانت لهم تجارب عملية في الشارع فلا بد أن نشير إلى مدى الاستعداد النفسي لدى الطفل ومدى تقبله الأوضاع السيئة الموجودة خارج المجتمع. ويحضرني في هذا المجال نموذج عن طفل من أطفال الشارع، فإثناء إقامتي في جمهورية مصر العربية التقيت مع رجل يمتن مهنة المحاماة وذا شخصية قوية ومؤثرة يدير مكتباً كبيراً فعندما تحدث عن طفولته قال انه ينتمي أصلاً إلى عائلة فقيرة اضطرته ظروف قاسية لدخول معترك الحياة العملية منذ أن كان صغيراً، فقد عمل في بادئ الأمر في ورش ميكانيكية لدى صاحب جراج لإصلاح السيارات وبسبب صغر سنه لم يستطع أن يتقن العمل ما أدى إلى طرده من العمل ولم تكن تلك النهاية، فقد كانت البداية، حيث قام بالبحث عن عمل آخر، ورغم ظروفه القاسية فقد كان محافظاً على دراسته وكان يجتاز المرحلة الدراسية بتفوق، ثم التحق بأحد المخابر فعمل فيه فصهر لهيب التنور طفولته، ورغم كل ذلك فقد تحمل قسوة العمل رغم صغر سنه وبعد فترة وجيزة عرض على صاحب المخبر رغبته في المشاركة برأس المال لتطوير العمل في المخبر ووافق صاحب العمل فقد كانت هذه الخطوة إنجازاً مهماً في حياته تابع بعدها دراسته حتى حصل على الليسانس في كلية الحقوق وأصبح يدير مكتباً خاصاً به وهو محل تقدير واحترام الجميع. هذا النموذج من أطفال الشوارع، رغم إحساسه بالفخر تجاه نفسه إلا أنه يجهل معنى الطفولة لأن جسده انغمس منذ البداية في زيت المحركات أثناء عمله في جراج السيارات وذابت أنامله الصغيرة في لهيب التنور.

\* المنامة - دولة البحرين

يدوي أو مهني فهي بدورها لا تتيح للطفل أعمالاً عقلانية أو إبداعية.

أظهرت الدراسة أن ٩١,٦٪ من الأطفال العاملين يسهمون في دخل الأسرة ويبدو أن إحساسهم بالرضا بما قد يقدمون إلى أهليهم من دعم اقتصادي ولد لديهم الإحساس بالارتياح الداخلي وانعكس بالتالي على التوافق الشخصي المتمثل في إحساس بالرضا عن النفس والإحساس بالتفوق والكفاءة الشخصية ومنبع هذا الإحساس صادر من أساس مشاركتهم في دخل الأسرة، ويقابل التوافق الشخصي شعور خفي بالقهر الاجتماعي وبانعدام العدالة الاجتماعية بين من يمانلو نهم في العمر، فالطفل العامل يجد نفسه منشداً لممارسة طفولته المهضومة فهو محروم من اللعب وممارسة هواياته فالطفل العامل يتنازل عن طفولته ويتنازل عن مرحلة عمرية مهمة جداً في تكوينه النفسي ويجري وراء تلبية احتياجاته الاقتصادية مما يؤدي إلى خلق صراع نفسي ذا طبيعة خاصة.

إن طفل الشارع يعاني من الإهمال والضياع والتشرد فلارقيب على ذلك الطفل لا من قريب ولا من بعيد، ويتصف بصفات خارجية متمثلة في سوء أخلاقه وسلوكه مع الآخرين فهو مكسور النفس وتضطره ظروفه القاسية إلى أن يمد يده للتسول والسرقه ويشعر بالكراهية الداخلية تجاه نفسه ومن حوله بالإضافة إلى أنه يفقد إحساسه بالعدالة الاجتماعية، فالشارع معلمه وأرصفت الشارع سريره ولعبه وقسوة الشارع غطاءه الوحيد أثناء نومه.

فالأمل والأمن والأمان أمور لا مكان لها في حياته، والصراع الداخلي لهذا الطفل يلازمه، والحرمان من الدفء والحنان يلزمه في كل لحظة فشعوره بالدونية يجعله مليئاً بالأحقاد والكراهية ولديه قوة قاهرة رغم صغر سنه للقيام بأي عمل أو سلوك دون ميالة منه بمخاطره وعلاوة على ذلك فإن طفل الشارع معرض بشكل كبير للاندماج في التجمعات غير السوية.

أما الطفل الذي ينجز عملاً معيناً في الشارع ثم يعود إلى منزله آخر النهار وهو ما يطلق عليه اسم الطفل في الشارع، فهو طفل أرغمته ظروف الحياة القاسية على تحمل مسؤولية نفسه وأسرته.



والجمعيات والأندية. وتتمنى الدكتورة شارلوت أن يثار موضوع عمالة الأطفال في جميع الوسائل الإعلامية وذلك لبيان أضراره الصحية والنفسية. وتقترح عقد ندوات لبيان مخاطر ظاهرة عمالة الأطفال والعمل على نبذها اجتماعياً لكي نحد من تفاقمها. إن الطفل المشتغل طفل أعرج الحركة يعاني من الخوف ويفتقد إلى أهم إحساس لدى أي طفل وهو الشعور بالأمان فالطفل الذي تضطره ظروفه إلى العمل وهو في سن مبكرة حتماً سيؤثر ذلك على توازنه النفسي.

فقد تحدث د. عادل صادق أستاذ الطب النفسي بكلية طب جامعة عين شمس قائلاً: إن هناك أطفالاً غالباً ما يعانون من أزمات نفسية حادة فتنبأ بإحساسهم بأن المجتمع قد ظلمهم وكذلك أسرهم فيتولد لديهم إحساس بالكراهية الشديدة تعبر عنه سلوكياتهم العدوانية تجاه المجتمع، ولذا فإن أغلب هؤلاء معرضون للانحراف بل إن بعضهم يحرص على حمل الآلات الحادة تعبيراً عن العدوانية الشديدة وبعضهم يدخل في حالات من الاكتئاب والبعض منهم لا يتوانى عن الإقدام على الانتحار وهم ببساطة شديدة قابلة قادرة على الانفجار في أي لحظة سواء في وجه المجتمع أم داخلهم، كما إن الإدمان الذي أصبح جزءاً من واقع هؤلاء يلعب دوراً خطيراً في تدميرهم ذهنياً ونفسياً واعتقد أنه من المهم جداً أن تتوافر لهؤلاء الرعاية النفسية وبدلاً عن القبض عليهم وإيداعهم دور رعاية الأحداث التي أصبحت بمثابة دور لتفريخ المجرمين بدلاً عن تقديم العون النفسي لتعويض حالات الضياع النفسي التي يعيشها هؤلاء الذين خرجوا للعالم بحرمان عاطفي وإنساني شديدين.

استخدمت أغلب الدراسات النفسية المتعلقة بمدى تأثير العمل على النواحي النفسية للطفل المنهج المقارن بين الأطفال العاملين وغير العاملين، كما تناولت معظم البحوث في هذا المجال التدرج في طبيعة الأعمال التي يقوم بها الأطفال من حيث درجة خطورتها أو صعوبتها وأثر ذلك على الصحة النفسية لهؤلاء الأطفال حيث تم ملاحظة أن هناك فروقاً جوهرية بين الأطفال العاملين الذين يعملون في ظروف تتفاوت فيها خطورة العمل.

فالأطفال العاملون أكثر استقلالية وشعوراً بالكفاءة والقدرة على الكفاح كما أنهم في الوقت نفسه أكثر عدوانية من الأطفال غير العاملين. أما الأطفال الذين يعملون في الأعمال الخفيفة أكثر تماسكاً وانتماءً للأسرة والبعض منهم متساو من الناحية الانتمائية مع الأطفال غير العاملين.

ومن الملاحظ أن عمل الأطفال رغم ما ينتج لهم عملهم وهم في سن مبكرة من آثار سلبية صحية ونفسية فإن ذلك يمهد لهم التعرف على العالم الجديد ويفتح لهم أبواب التعامل والعرف على الغير على اختلاف طبائعهم وطبقاتهم، إلا أن تلك الخبرات التي يكتسبها الطفل وهو في سن مبكرة لا تتلاءم مع مرحلته العمرية، فضلاً عن أن أغلب الأعمال التي يقومون بها ذات طابع

وحول مدى التأثير النفسي الذي ينعكس على حياة الطفل العامل تحدثت الدكتورة شارلوت كمال استشارية الطب النفسي بمستشفى السليمانية الطبي عن ظاهرة عمالة الأطفال قائلة: إن ظاهرة عمل الأطفال وهم في سن مبكرة لها كثير من الآثار السلبية على النواحي النفسية فالطفل العامل لم تكتمل عنده الكثير من المفاهيم الحياتية ويكاد يكون فهمه لما يدور من حوله غير واضح أو مبهم.

فدخوله ميدان العمل وهو في هذا العمر يجعله يدخل عالم الكبار قبل الأوان مما يؤثر على نضجه المستقبلي. وعلى الرغم من أن الدكتورة شارلوت من الرافضين لعمالة الأطفال إلا أنها تشجع عمل الأطفال لدى ذويهم كما تشجع عمالة الأطفال الموسمية ولكن ضمن شروط معينة على النحو التالي:

- ١ - أن تكون تلك الأعمال منتقاة.
- ٢ - أن تكون أعمالاً منتظمة غير عشوائية.
- ٣ - أن يقوم الأطفال بأداء تلك الأعمال تحت إشراف الجهات الحكومية المتمثلة في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وذلك بالتعاون مع الجهات غير الحكومية مثل المؤسسات الأهلية



من ماء ورغيفين، فقلت لها: أتعريفن المرأة؟ قالت: اللهم لا .  
قلت: هذه الدنيا خدمت ربك جل وعز فبعث إليك بالدنيا فخدمتك  
على رغم أنفها.

وجاء في حياة الصحابة للكائدهلوي أن عمر بن الخطاب  
أمير المؤمنين رضي الله عنه وقف يوماً في بقيع الغرقد وقال:  
السلام عليكم يا أهل القبور أخبار ما عندنا أن نساءكم قد  
تزوجت، وبيوتكم قد سكنت، وأموالكم قد وزعت، فما أخبار ما  
عندكم؟ فسمع هاتفاً يقول: أخبار ما عندنا أن ما عملناه فقد  
وجدناه، وما أنفقناه فقد ربحناه وما أبقيناه فقد خسرناه.

قال محمود الوراق في وصف الدنيا:

هي الدنيا فلا يغرك منها مخايل تستفز ذوي العقول  
أقل قليلها يكفيك منها ولكن ليس تقنع بالقليل  
تشيد وتبتني في كل يوم وأنت على التجهز والرحيل  
ومن هذا الذي يبقى عليها مضاربه بمدرجة السيول  
وقال آخر:

أيا دنيا حسرت لنا قناعاً وكان جمال وجهك في النقاب  
كان العيش فيها كان ظلاً يقلبه الزمان إلى ذهاب  
وقد ذكر الأصمعي في هذا المجال أنه كتب في قبة لسليمان  
بن داود:

ومن يحمد الدنيا لشيء يناله فسوف لعمرى عن قليل يلومها  
إذا أدبرت كانت على الناس حرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وما أجمل الأثر القائل: اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها واعمل  
للآخرة بقدر بقاءك فيها، واعمل لله بقدر حاجتك إليه، واعمل  
للنار بقدر صبرك عليها.

لا شك في أن أصحاب الأقوال سالفة الذكر من شعراء وعلماء  
وحكماء وأدباء نظروا إلى الدنيا ببصيرة نافذة جعلت القول  
الحق بشأنها ينساب على ألسنتهم لكنهم ما لبثوا بعدها أن  
ودعوا الدنيا وودعوا ما فيها ومن فيها من متاع تعبوا من  
أجله ومن أموال اجتهدوا في الحصول عليها ومن أهل يعز  
عليهم فراقهم ومن ألم ومن أمل لم يخرجوا منها إلا بسجلات  
أعمالهم صالحها وطالحها ليجدوا ثمر ما زرعه فيها كامناً  
لهم في قبورهم، ونتاج ما اكتسبته أيديهم في رحابها ينتظرهم  
في ظلمة القبر ووحدة القبر ووحدة القبر.

وقال أحدهم: طلاق الدنيا مهر الجنة.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه:

من هوان الدنيا على الله عز وجل أنه لا يعصى إلا فيها ولا  
ينال ما عنده إلا بتركها.

وذكر أعرابي الدنيا فقال:

هي جمّة المصائب رنقة المشارب لا تمتعك الدهر بصاحب  
وقيل: إذا أقبلت الدنيا على امرئ أعارته محاسن غيره وإذا  
أدبرت عنه سلبتة محاسن نفسه.

وسمع المأمون قول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

فقال المأمون: لو سئلت الدنيا عن نفسها لما وصفت نفسها

كما وصفها أبو نواس، وقول أبو نواس أيضاً:

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع  
ولا تجمع من المال فما تدري لمن تجمع  
ولا تدري أفي أرضك أم في غيرها تصرع

وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
أنه قال: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها،

و دار غنى لمن تزود منها، مسجد أنبياء الله، ومهبط وحيه  
ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا

فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد أذنت بينها ونادت بفراقها ونفت  
نفسها فشوقت بسرورها إلى السرور وبيلاؤها إلى البلاء

تخويفاً وتحذيراً وترغيباً وترهيباً فأيها الذام للدنيا والمتعلل  
بتغريها متى غرتك، أيمصارع أبائك في البلى أم بمضاجع

أمهاتك في الثرى كم عللت بكفيك، وكم مرضت بيدك، تبتغي  
لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء وتلتمس لهم الدواء، لم

ينفعهم تطلبك ذلك ولم يشفهم دواؤك! مثلت لك الدنيا مصرعك  
ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك أحباؤك، ثم

وقف على أهل القبور فقال: يا أهل الثروة والعز! الأزواج بعدكم  
قد نكحت والأموال قد قسمت والدور قد سكنت فهذا خبر ما

عدنا فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما والله  
لو أذن لهم لقالوا: إن خير الزاد التقوى.

وورد عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: بينما أنا  
أطوف بالبيت إذا أنا بعجوز متعبدة، فقلت: من أنت؟ قالت: من

بنات ملوك غسان. قلت فمن أين طعامك؟ قالت إذا كان آخر  
النهار في كل يوم تجيئني امرأة متزينة فتضع بين يدي كوزاً

